بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

مخبر بحث العلوم الإسلامية في الجزائربالتنسيق مع قسم اللغة والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني:

القضية الفلسطينية: جذور الصراع،

بين إكراهات الواقع وآمال التحرر.

تاريخ انعقاد الملتقى: 2025/11/11

بقاعة المناقشات بكلية العلوم الإسلامية

عنوان المداخلة:

الفكر الغربي و أيديولوجيا الصراع -الكيان الصهيوني أنموذجا-

د/عمر مسعودي

جامعة أحمد دراية أدرار.

الملخص:

شكّل الفكر الغربي إطارًا مرجعيًا للهيمنة والسيطرة للدول الغربية، إذ ارتكز على النزعة المادية والنفعية التي جعلت من القوة معيارًا للحضارة والتقدّم. وقد ترجمت هذه الرؤية ميدانيا في الممارسات الاستعمارية الغربية، التي عملت على إخضاع الشعوب ونهب خيراتها وفق شعارات البناء والتنوير، وخدمة لهذا المشروع الاستيطاني، أنشأ الكيان الصهيوني بوصفه الامتداد الغير مباشر للفكر الغربي الإمبريالي، بوصفه أحد أبرز تجلياته في العالم العربي والإسلامي، وهو ما يجعل تناول الموضوع وفق هذا المنظور وسيلة لفهم طبيعة الصراع القائم اليوم، خصوصًا في ضوء عملية طوفان الأقصى وما أعقبها من اصطفاف غربي غير مسبوق خلف الكيان الصهيوني.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الغربية، الأيديولوجيا، الصهيونية.

Abstract:

Western thought has formed a reference framework for domination and control by Western states, as it is based on a materialistic and utilitarian tendency that made power the standard of civilization and progress. This vision was practically reflected in Western colonial practices, which worked to subjugate peoples and plunder their resources under the slogans of construction and enlightenment.In service of this settler project, the Zionist entity was established as an indirect extension of Western imperial thought, representing one of its most prominent manifestations in the Arab and Islamic worlds. Addressing this topic from such a perspective provides a means to understand the nature of the current conflict, especially in light of Operation "Al-Aqsa Flood" and the unprecedented Western alignment that followed in support of the Zionist entity.

Keywords: Thought – Western – Ideology – Zionism.

مقدمة:

تعد قضية علاقة الصهيونية بأيديولوجيا الفكر الغربي من أكثر القضايا المعاصرة إثارة للجدل، فيما بين توجهات وتيارات الفكر الإنساني المختلفة، سواء أكان ذلك على مستوى التأسيس والتأصيل، أو على مستوى الدعم والحماية أو التمدد والتوسع، فهناك من يرى اليوم بأن تلك العلاقة هي علاقة تلازمية وجدت منذ بدايات توطين وتشكل هذا الكيان، ومنهم من يرى بأن هذا الأمر تحكمه أطر المنفعة المتبادلة بين الطرفين، وهي علاقة لا تمت بصلة الأبعاد الدينية من قريب أو بعيد، ومن هنا تنبع أهمية البحث من كونه يحاول تفكيك العلاقة البنيوية بين الفكر الغربي والأيديولوجيا الصهيونية، والبحث في كيفية توظيف الغرب للكيان الصهيوني كأداة لترسيخ هيمنته على الشرق الأوسط، مما يمنح الدراسة بعدًا فكريًا وحضاريًا يتجاوز الطرح السياسي المباشر.

ولذا سوف تكون هاته الورقة البحثية موضحة لهاته القضايا والموافق من خلال الإجابة على **إشكالية** مفادها: إلى أي مدى تمثل الصهيونية امتدادًا للفكر الغربي الإمبريالي وهيمنته الأيديولوجية؟

علماً أن **الاهداف** التي نصبو إلى تحقيقها من خلال بحثنا هذا هي:

1. الوقوف على الجذور الفكرية المشتركة بين الصهيونية والفكر الغربي.
2. عرض أبعاد التحالف الغربي–الإسرائيلي في ضوء الهيمنة الحضارية.

3. معرفة أيديولوجيا الصراع الراهنة بين الغرب والعالم الإسلامي من منظور فكري حضاري.

العناصر الأساسية التي ستجيب على إشكالية البحث:

أولاً: الهيمنة الغربية والعنصرية الصهيونية- قراءة في المنطلقات وآليات-.

1-اليهود إبان ظهور الصهيونية.

2-المسيحية المتطرفة ويهود الصهيونية.

ثانياً: مقاربات الصهيونية والقطبية الغربية الأحادية قراءة في الآثار والنتائج.

1-سؤال علاقة الصهيونية الإسرائيلية بالإمبريالية الغربية.

2-طوفان الأقصى والدعم الغربي للكيان الصهيوني.

أولاً: الهيمنة الغربية والعنصرية الصهيونية-قراءة في المنطلقات وآليات-.

يُطلق لفظ الغرب على الشعوب المقيمة في الجهة الغربية من الكرة الأرضية، أي في أوروبا وأمريكا، إذا نظرنا إليه من الجانب الجغرافي، أما من الناحية الدينية، فإن الرابط المشترك بين دول الغرب يتمثل تاريخيًا في الديانة المسيحية التي شكّلت أساس مرجعيتها الحضارية، رغم ما تُظهره هذه الدول اليوم من ادعاء العلمانية وانفصالها عن الدين، غير أن شدة العداء الذي تبديه تجاه دول المشرق الإسلامي تكشف عن استمرار الصلة الوثيقة بين الغرب والخلفية المسيحية. فلولا ذلك الإرث العدائي الممتد منذ الحروب الصليبية وصولًا إلى الحروب الحديثة على الإسلام والمسلمين، لكان ادعاء الحياد الديني مقبولًا، وفي هذا السياق يجب أن ندرك أن الغرب لما تأكد من جدوى الحروب المباشرة مع المسلمين، انتقل إلى حروب غير مباشرة أي حروب بالوكالة.

ولاشك أن الباحث في حقيقة العداء الغربي للمسلمين يدرك جيداً أن منطلقه يعود إلى العنصرية الغربية ضد جميع البشر، النابعة من جذور المسيحية المتطرفة، ولما فقدت المسيحية فاعليتها في المجتمعات الغربية، بات الغرب بحاجة إلى منطلقات دينية أخرى تغذي روح القوة والهيمنة والسيطرة، ومنه نظر الغرب في السلوك اليهودي فوجده سلوكاً يمتاز بالعدوانية تجاه الآخر المخالف دينياً وعرقياً، على أساس أن اليهودية تبنى على أصل ديني وعرقي معاً، إذ تنتشر عن طريق التناسل لا عن طريق الدعوة، فكانت ديانة قائمة على أساس التمييز العنصري، من اعتقاد أنهم شعب الله المختار[1].

1-اليهود إبان ظهور الصهيونية:

كانت صلة اليهود بفلسطين عبر التاريخ، وقبل نشوء الصهيونية الاستعمارية، لا تتجاوز كونها صلة دينية وروحية، خالية من أي أطماع سياسية، فقد ارتبطت تلك الصلة برغبة دينية وعاطفية لدى بعض الفئات اليهودية المتدينة في الإقامة بالقرب من الأماكن المقدسة، للتفرغ للعبادة وأداء الطقوس الدينية، وقضاء ما تبقى من حياتهم في المدن الأربع المقدسة-القدس، صفد، طبرية، والخليل- أما من الناحية التاريخية، فقبل السبي البابلي الذي نفّذه نبوخذ نصّر، كان اليهود منتشرين في مناطق متعددة من العالمين العربي وغير العربي، ولم يكونوا متمركزين في فلسطين وحدها، بل عاشوا كمواطنين في دول وأقاليم مختلفة، كما أن اليهود المتدينين في ذلك الوقت لم يكونوا يسعون لإقامة دولة سياسية في فلسطين، بل كانوا يؤمنون بأن بعث الدولة اليهودية أمر مرتبط بإرادة إلهية تتحقق في الزمن الموعود، لا بجهد بشري أو مشروع سياسي، كما كانوا يدعون الشعب اليهودي إلى عدم الاجتماع والاستيطان برقعة جغرافية واحدة إنذارا من الهلاك والخراب.

ومن هذا المنطلق فقد وجد اليهود المعاملة الجيدة والحسنة في إمارات وأمصار العالم الاسلامي التي لم تتغير الا بعد نشوء الصهيونية التي ابتكرها ورعاها، وخطط لها ونفذها المستعمرون للعالم الإسلامي[2]، فهذا العداء - كما يقول الشيخ القرضاوي: "لم نبتكره نحن لسنا الذين اخترعنا هذا العداء... اليهود عاشوا بين المسلمين وبين ظاهراني المسلمين قرون عديدة حتى حينما اضطهدتهم أوروبا ولفظتهم أوروبا لم يجدوا صدرا حنونا ولم يجدوا كهفا يؤوون إليه، ويعيشون فيه آمنين مطمئنين إلا دار الإسلام أوطان المسلمين هي التي وسعتهم، ولكن عندما احتل اليهود أرض فلسطين وشردوا أهلها وفعلوا ما فعلوا ...بل أنا أقول ربما كان اليهود أقرب إلى المسلمين من ناحية العقيدة ومن ناحية الشريعة أكثر من المسيحيين، لأن اليهود لا يؤلهون موسى ليست عندهم عقيدة تثليث هم لا يؤلهون موسى كما يؤله المسيحيون عيسى ابن مريم، هم من ناحية الشريعة في كثير من الأشياء يتفقون مع المسلمين، النصارى لا يذبحون، اليهود يذبحون، النصارى لا يختنون أبناءهم، اليهود يختنون النصارى لا يحرمون الخنزير، اليهود يحرمون الخنزير ... النصارى لا يحرمون التماثيل ومعابدهم وكنائسهم مليئة بالتماثيل، اليهود يحرمون التماثيل، أشياء كثيرة يتفق فيها اليهود مع المسلمين فليست المشكلة مع اليهود مشكلة عقيدة ولا شريعة، إنما هي مشكلة أطماع وأشياء جعلت هذا الموقف منذ العهد النبوي مع اليهود ثم في عهدنا هذا منذ بدؤوا يطمعون في أرض الإسراء والمعراج أرض فلسطين المقدسة المباركة[3].

ولذلك يمكن القول أنه لم تكن هناك مشكلة يهودية في أي من الأقطار العربية أو الإسلامية، إذ كان اليهود يعيشون فيها بسلام ويتمتعون بمعاملة كريمة تفوق ما كان يحظى به اليهود في أي بلد آخر من بلدان العالم، لذلك كان من المنطقي أن تُحل قضيتهم في البلدان التي تسببت بها فعلاً، أي في تلك التي مارست ضدهم الاضطهاد والمذابح، وابتدعت فكرة العداء لليهود (اللاسامية)، وهي دول أوروبا الغربية، ولا سيما ألمانيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، حيث نشأت تلك الأفكار وانتشرت، بخلاف ما كان عليه الحال في البلاد العربية التي خَلَت تمامًا من مظاهر العداء الديني أو العرقي لليهود، وحتى قيام دولة إسرائيل عام 1948م، لم تكن الصهيونية قد بسطت نفوذها على اليهود الشرقيين، لأنهم لم يعانوا من الاضطهاد أو اللاسامية في البلدان الإسلامية التي أقاموا فيها، غير أن الأوضاع انقلبت بعد ذلك، نتيجة المخططات الاستعمارية الغربية التي تواطأت مع الحركة الصهيونية على افتعال أحداث عنف وحرائق واضطرابات ضد المواطنين اليهود في بعض الدول العربية والإسلامية، بهدف إجبارهم على الهجرة إلى فلسطين، وقد أدّى هذا التخطيط المسبق إلى تهجير مئات الآلاف من اليهود العرب قسرًا إلى إسرائيل، للمساهمة في بناء الكيان الصهيوني وتثبيت أركانه وفق أيديولوجيا عدائية وعنصرية، عرفت فيما بعد بالأيديولوجيا الصهيونية[4].

إلا أن هناك من المؤرخون من ينفي ما قالته الادعاءات الصهيونية أن اليهود ظلوا يتطلعون للعودة إلى فلسطين وبالخصوص بعد ضائقة اليهود في العالم الغربي، والحقيقة أن كثيرًا من اليهود لا يزالون حتى الساعة يعيشون خارج فلسطين المحتلة؛ فاليهود لم يبذلوا أي جهود تذكر للعودة إلى أرض الميعاد، وحتى بعد أن صدر وعد بلفور، فمعظم اليهود لم يعودوا إليها، ولذلك فإن ما يسمى بدولة (إسرائيل)؛ هو مشروع حمل في أحشائه بذور الصراع والمشاكل المستقبلية في الشرق الأوسط أو بالأحرى مع العالم الاسلامي، فالكيان الصهيوني ظهر نتيجة مشروع عسكري سياسي ثقافي، وبخلفية عسكرية غربية، فالحركة الصهيونية قامت على فكرةٍ استدعائية تهدف إلى إقامة دولةٍ يهودية على أرض فلسطين، مستندة إلى ما تزعم أنه "الوعد الإلهي" و"أرض الميعاد"، وقد سعت هذه الحركة منذ نشأتها إلى تهجير الشعب الفلسطيني

من أرضه قسرًا، مستخدمة شتّى وسائل القمع والعدوان لتحقيق أهدافها. كما عملت على تشويه صورة العرب وإضعاف وحدتهم، لتفريق صفوفهم وشلّ جهودهم في الدفاع عن فلسطين ومقدرات الأمة بصفة عامة[5].

2-المسيحية المتطرفة ويهود الصهيونية:

محاولة معرفة مدى علاقة الفكر الغربي بالفكر الصهيوني يرجع بنا إلى النظر في الأحقاد الدينية المسيحية، التي تعد أحد أوجه التطرف المسيحي الذي لا يعترف بالآخر، ولذا فإننا عند تقسيم التطرف المسيحي إلى المسيحية المحافظة(اليمينية)، وإلى مسيحية المحافظين الجدد التي تمثل أنموذجاً آخر للتطرف المسيحي، نجد أن هذا القسم الأخير من التطرف تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية وتدعمه، لذا فإن هاته الممارسات الغربية العدائية على الشعوب الإسلامية، كلها راجعة إلى أساس علاقة التطرف الغربي بأصوله المسيحية الرومانية اليهودية[6]، لأن المسيحية التي شكّلت الحضارة الغربية ليست هي ذاتها المسيحية التي دعا إليها عيسى عليه السلام وتبناها الحواريون، بل هي المسيحية التي تطورت في أوروبا بعد قرون من نشأتها الأولى، حتى أصبحت تحمل طابعاً مختلفاً تماماً ، فقد خضعت لتأثيرات فكرية وثقافية متعددة، أبرزها الفكر الإغريقي والتراث اليهودي، مما جعلها تتحول إلى ما يمكن تسميته بـــ الفكرة الإغريقية – اليهودية – المسيحية، وقد شكّل هذا المزيج الإطار النفسي الذي تأسست فيه المنظومة الأخلاقية الغربية، ونما داخله الوعي الغربي (الأنا الغربي الفوقي المتعالي)، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، بحيث أصبحت هذه المسيحية المحوّرة الأساس الروحي والثقافي للحضارة الغربية الحديثة[7].

يقول الفرد ليلينتال: "المسيحيين والإسرائيليين سواء بسواء لأنهم دأبوا على التنديد بالعرب والطعن عليهم، وقدموا لإسرائيل عونا عنيدا مخاصما، بدلا من أن ينادوا بحل وسط مبني على العدالة، والواقع أن الشعور الأمريكي لم يتقرر على أساس من مقومات، كل من دعوى العرب ودعوى الإسرائيليين، ولكن على أساس العلاقات المسيحية اليهودية، إن الشعور المسيحي نتيجة للاضطهاد الذي أنزل باليهود هو الذي ولد هذا التأييد الصلب الذي لا يعرف الهوادة لإسرائيل"[8].

وإذا رجعنا قليلا إلى صفحات التاريخ وقوفا عند وعد بلفور، يتضح أن بريطانيا لم تصدر وعد بلفور عن اقتناع بحق اليهود، بل بدوافع سياسية وعسكرية تخدم مصالحها في الشرق الأوسط، وخاصة قناة السويس التي تُعد شرياناً حيوياً لإمبراطوريتها، فقد أرادت بريطانيا أن تُقيم في فلسطين قوة موالية لها تحمي مصالحها وتؤمّن طريقها إلى الهند، كما أن تصريح تشرشل عام 1937 يؤكد أن هذا الوعد جاء مكافأة لليهود على الخدمات التي قدموها لبريطانيا وحلفائها أثناء الحرب العالمية الأولى، مما يبيّن أن الدافع الحقيقي كان استراتيجياً واستعمارياً أكثر من كونه تعاطفاً أو اعترافاً بحق اليهود في وطن قومي بفلسطين[9]، وهو ما يتوافق مع قول مالك بن نبي في أن تأسيس الكيان الصهيوني يعود "إلى إرادة القوة التي أملت بتأسيس إسرائيل بوصفها رأس جسر أعد من أجل غايات استراتيجية، في احتمال حرب عالمية ثالثة، ولأغراض سياسية تقف سداً في طريق وحدة البلدان العربية التي لا تقدر على شيء ما دامت الوحدة غير موجودة"[10].

ولذلك فبعد العدوان الثلاثي الإسرائيلي البريطاني الفرنسي على مصر، تتأكد لدينا مقولة أن: "إسرائيل دولة اجنبية استعمارية تستمد زعامتها ومواردها المالية من أوروبة والولايات المتحدة"[11]، مقابل القيام بالدور الوظيفي لها الذي قصده عبد الوهاب المسيري في قوله: "ولا بد أن تكون لهذه القوة مصالح استعمارية في الشرق، الأمر الذي ينقلنا إلى

البناء التحتي الثاني، الذي يتكون أساسا من القوى الاستعمارية (الغربية) المختلفة التي تبنت الفكرة الصهيونية وساندتها ودعمتها لخدمة مصالحها"[12].

ومنه باتت رؤية المسلمين للحرب الصهيونية اليهودية حديثا، لا تختلف عن نظرتهم للحروب الصليبية المسيحية قديما، فإحداث دولة اسرائيل لا يختلف في شيء عن دولة القدس التي أقامها الصليبيون، وليس في وسع أحد الإنكار ، لما يقف على احصائيات القتلى والضحايا قديما وحديثا[13].

وعلى الرغم من كل هذه الأيديولوجيا المشتركة بين المسيحية المتطرفة ويهود الصهيونية، فإن الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من دول الغرب، يمارسون التضليل والتعتيم الإعلامي عن الرأي العام بدولهم، وكذا الرأي العام العالمي، من أجل إنجاح مشروع الصهيونية بالشرق الاوسط يقول ألفرد ليلينتال: "من المشكوك فيه أن الصهيونية كان يمكن أن يكتب لها النجاح في الولايات المتحدة، لو أن الرأي العام الأميركي زود بالمعلومات الوافية المجردة، غير أن الصهيونية بدلا من ذلك، قد قدمت لرأي العام، بحيث تبدو قوة من قوى التقدم والتحرير في عالم عربي متخلف"[14].

ثانيا: مقاربات الصهيونية والقطبية الغربية الأحادية قراءة في الآثاروالنتائج.

1-سؤال علاقة الصهيونية الإسرائيلية بالإمبريالية الغربية:

لقد مثّلت القضية الفلسطينية نقطة تحول خطيرة في التاريخ الحديث، فمنذ أن أعلن بن غوريون قيام الدولة الصهيونية، سارعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاعتراف بها في منتصف ليل اليوم نفسه، لتفتح بذلك الباب أمام شرعنة كيانٍ قام على اغتصاب الأرض وتشريد أهلها، ومنذ تلك اللحظة، بدأت الأمم المتحدة تنحرف تدريجيًا عن مبادئ العدالة، لتصبح أداة تخدم المصالح الغربية على حساب حقوق العرب وآمالهم، وما إن أُعلن تأسيس الكيان حتى انهالت عليه شحنات السلاح والدعم من مختلف المرافئ الأوروبية، في مشهدٍ يعكس مدى التواطؤ الدولي في تثبيت هذا الكيان وتمكينه من التوسع والعدوان[15].

ينبّه مالك بن نبي إلى أن الدبلوماسية الغربية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، تعمل على إقحام العرب والمسلمين في دوائر الصراع، وجعل العالم الإسلامي ساحةً للنزاعات والحروب، بهدف تعطيل كل فرصة مادية أو فكرية أو أخلاقية يمكن أن تكون في صالح المسلمين، وهو ما يستوجب الوعي والحذر، ومن هذا المنطلق، دعا بن نبي في كتابه «فكرة الإفريقية الآسيوية» إلى ضرورة تنسيق جهود العالم الإسلامي مع شعوب آسيا وإفريقيا، والسعي إلى الاستقلال في المواقف والقرارات بعيدًا عن التبعية لأمريكا أو غيرها من القوى الكبرى، لأن العالم ظلّ خاضعًا لهيمنة أوروبا الأخلاقية والسياسية على مدى قرنين من الزمن، مما جعل الإنسان الأوروبي، بل والغربي عمومًا، سببًا رئيسيًا في المأساة الإنسانية؛ إذ إن هذه السيطرة وضعت موارد البشرية تحت تصرف الغرب، وأحدثت أزمةً في الضمير الإنساني، فغدا الغرب ينظر إلى المبادئ والقيم نظرةً مصلحية ضيقة، كما ينظر إلى الشعوب والأمم بمعيار التفوق والهيمنة، وبعيدا عن هيمنة النظرة الغربية وسياساتها العنصرية الاستعمارية، فمركزية أمريكا فيها، تعني المركزية العنصرية للكيان المحتل[16].

ولا غرو أن التطابق بين الصهيونية الإسرائيلية والقطبية الأحادية الامريكية في السباق التسيدي على العالم، الذي ينبني أساسا على التطابق بين الثقافة والأخلاق بل بتفضيل الخصوصية الثقافية الغربية على باقي الخصوصيات الثقافية الأخرى، وللاستدلال على هذا الظرف الاستراتيجي استحضر طه عبد الرحمن أطروحة صدام الحضارات لـــ ها

نتغتون، التي اعتبرها تنظيرا استراتيجيا تنتمي إلى المنظور الواقعي للعلاقات الدولية، ف (هانتغتون) من خلال أطروحته يدعو بشكل صريح الغرب إلى الدفاع عن مصالحه وتكريس هيمنته العالمية في عالم متنوع متعدد الحضارات، فمسؤولية الغرب هو ضمان مصالحه الذاتية، وليس تشجيع مصالح الشعوب الأخرى أو محاولة حل صراعاتها التي لا يكون لها تأثير مباشر في الغرب[17]، ثم إن الصدام يختص أكثر بتقديم العنصر الثقافي على العنصرين الآخرين السياسي والاقتصادي، ولا شيء أدعى اليوم إلى الصدام عند طه عبد الرحمن من اعتقاد الغرب بكونية وشمولية ثقافته وأفضلية قيمه ومؤسساته، وحمل شعوب العالم على الأخذ بها على تعارضها مع بعض قيم هذه الشعوب[18].

إذن الصدام مع الغرب يرتبط بالظرف الاستراتيجي الذي اعتبره طه عبد الرحمن من ظروف الصدام القيمي الذي ينبني ساسا على التطابق بين الثقافة والأخلاق، وبما أن الصهيونية الإسرائيلية والأحادية القطبية الغربية وإكراهاتها العنصرية تجمعها سياسة التوسع والهيمنة السيطرة والاستعلاء والفوقية تجاه الآخر[19]، وهنا يتجلى توافق أهداف الصهيونية الإسرائيلية والإمبريالية معا، فالإمبريالية الغربية قامت بتغيير الخطط والوسائل التي يمارسها الاستعمار القديم كأدوات للإدارة والهيمنة على العالم، ولذلك فهي بشكلها الجديد تعتمد على الصراع الفكري الثقافي الذي هو وجه الاستعمار الجديد الأكثر بروزا، وتتمثل العولمة أحد الأساليب المنتهجة في بسط الهيمنة والسيطرة باستخدام شتى الطرق والخوض في مختلف المجالات، العسكرية والثقافية والسياسية في الدولة المستهدفة، فمثلا سياسياً يعترفون بسيادة الدول لكن سيادة شكلية، وذلك أشبه ما يكون بانتداب أو وصاية، وقد اعتمد هذا الاستعمار الجديد على وسائل عديدة للوصول إلى أهدافه، وجُلها وسائل خفية لتحاشي المعارضة ضدها من الرأي العام الأممي العالمي، فيعتمدون على وسائل عديدة، كإبرام اتفاقيات غير متناظرة تؤدي إلى زيادة تخلف الجهة المهيمن عليها، مما يجعلها زبونا مقلدا للغرب دون تقدم أو رقي[20].

وتعتبر العولمة التي يواجها العالم الإسلامي اليوم، أحد أوجه الإمبريالية الغربية والتي تعني:"استعلاء غربي ذي نزعة إمبراطورية، هدفه أمركة العالم، بما يجعله سوقا دائمة لما يراد ترويجه من أفكار وسلع، اختير لهذا الاستعلاء اسم (العولمة) ... ولقد أثار المصطلح منذ أن طرح في الساحة الدولية، جدلا ونقاشات كثيرة، وانقسم الناس حياله، بين راض به معتبرا إياه نتيجة طبيعية لما تحقق في عالم الاتصالات والتكنولوجيات الحديثة التي سهلت سيولة المعلومة وقلصت المسافات والأزمنة بين أطراف العالم، حتى غدا هذا العالم أقل من أن يوصف بأنه قرية صغيرة... وبين رافض له معتبرا إياه طبعة جديدة من الاستعمار الغربي، تحت غطاء إنساني، ومفاهيم كونية ولكنه يهدف في النهاية إلى تحطيم كل ما حققه الإنسان الغربي نفسه من ديمقراطية ورفاهية، فضلا عن زيادة بؤس الشعوب التي تعيش خارج المحال الغربي"[21].

وهذه الإمبريالية الغربية لما نقابلها مع نظيرتها الصهيونية العالمية، نجد هاته الأخيرة تشكل كلا الوجهين من العالم الغربي، بمعنى تشكل وجه الغرب بصورته الاستعمارية التقليدية (الحروب العسكرية المباشرة) ، وأيضا وجهه في صورة الاستعمار الجديد(السياسة الإمبريالية)، وهذا تجسد في سياسة التطبيع التي ينتهجها الكيان الصهيوني وكذا الاتفاقات الإبراهيمية، مع دول العالم الإسلامي، وقد مر هذا التطبيع العربي- الإسرائيلي بعدة مسارات بداية من كامب ديفيد وصولا إلى اتفاق "إبراهام "، والذي استجلب معه صفقة القرن، وعليه، فالتطبيع هو بناء تحالف سياسي، أمني، اقتصادي، تكنولوجي، عسكري، بين الإسرائيلي وأي من الدول العربية الإسلامية، بغية تحقيق أهداف وأبعاد شكلية معلنة: تتمثل في خدمة السلم والتعايش الإنساني، والوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، وكذا خدمة أهداف

استراتيجية غير المعلنة، من خنق بوادر الشراكة العربية الإسلامية في شتى المجالات، مثلا: قطع الطريق أمام الخط الحيوي الإيراني الرابط بين مجموعة من الدول الإسلامية، من خلال البحث عن الحليف الموثوق في مواجهة الخطر الإيراني؛ والمتمثل في إسرائيل الحليف القوي المناسب والمدعم عسكريا من قبل أمريكا، وكذا الوقوف في وجه النفوذ التركي في البلدان الإسلامية، من أجل محاصرة القوة التركية الصاعدة في مختلف المجالات، وحصر تمددها في العالم العربي، علما أن هاته الأهداف غير المعلنة وغيرها، مصدرها الاهتمام والدعم الامبريالي الأمريكي للكيان الصهيوني[22].

وبمقتضى العنصرية الامبريالية لدى الغرب اتسم النموذج الحضاري الغربي بعنصرية التفاوت أي وجود تفاوت ثقافي بين الأجناس، والإصرار على تفوق الرجل الأبيض، ومنه إعطاء القداسة للإنسان الغربي وتاريخه وحضارته، ونزعها عن غيره أي عن غير الغربي[23]، ولذلك يرى المسيري أن الظاهرة الصهيونية: "هي ظاهرة غربية، عرقية، وإمبريالية وليست ظاهرة يهودية (كما يظن البعض وكما نبين في هذا الكتاب)، والعنف - شأنه شأن العنصرية - جزء لا يتجزأ من التشكيل الإمبريالي الغربي الذي لم يحصل على ما حصل عليه من مكاسب، ولم ينهب ما نهب من ثروات من خلال المفاوضات والحديث العقلاني الهادئ، وإنما من خلال الإبادة والإحلال والقمع العسكري"[24].

وعليه فلقد كشف النموذج الإمبريالي الغربي عن وجهه الحقيقي القبيح، بعد أن تهاوت الأقنعة التي طالما تخفى وراءها تحت شعارات التحضّر والرقي، إذ تجلّى انحرافه الأخلاقي والإنساني في أبشع صوره من خلال هجماته الاستعمارية الشرسة على بلاد الشرق، حيث نهب خيراتها واستباح ثرواتها، كما ارتكب جرائم مروّعة في حقّ الإنسانية عبر حروبه العالمية التي حصدت أرواح عشرات الملايين من البشر، ناهيك عما خلّفه من دمار في دولٍ مثل أفغانستان والعراق والسودان والصومال، ولم يتوقف هذا الانحراف عند حدّ العدوان المادي، بل امتدّ إلى ازدواجيةٍ أخلاقية صارخة تمثلت في تعاطفه الأعمى مع الكيان الصهيوني، رغم ما يرتكبه من جرائم اغتصابٍ وتهجيرٍ بحقّ الشعب الفلسطيني، وهكذا فإنّ ما يُسمّى بالحضارة الغربية لم يسبق لأي نموذج حضاري في التاريخ أن ارتكب باسمه مثل هذا الكمّ من الإبادة والتدمير، ثم ادّعى الرشد والحياد، والأمر ذاته ينطبق على الصهيونية التي تمثّل الامتداد الطبيعي للفكر الإمبريالي المادي، إذ تشترك معه في النظرة النفعية التي تُحوّل الإنسان والعالم إلى أدواتٍ للاستغلال والتسلّط، وتُسخّر كل شيء في سبيل القوة والمصلحة، دون أي اعتبار للقيم أو للكرامة الإنسانية[25].

2-طوفان الأقصى والدعم الغربي للكيان الصهيوني:

في السابع من أكتوبر عام 2023، شنّ الجناح العسكري لحركة حماس، بمشاركة فصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى في قطاع غزة، هجومًا واسعًا استهدف مواقع الجيش الإسرائيلي في منطقة غلاف غزة، وقد تمكّنت المقاومة خلال هذا الهجوم من السيطرة على عدد من المواقع العسكرية الإسرائيلية، إضافة إلى اقتحام نحو عشرين مستوطنة إسرائيلية محيطة بالقطاع، وأطلق على العملية اسم «طوفان الأقصى»، والتي أسفرت عن مقتل العشرات من الإسرائيليين العسكريين، وإصابة العشرات آخرين، فضلاً عن أسر عددا لا بأس به الإسرائيليين ونقلهم إلى داخل قطاع غزة.

وقد جاءت عملية طوفان الأقصى ردًّا على الانتهاكات الإسرائيلية المتكرّرة، ولا سيّما الاعتداءات المستمرة على المسجد الأقصى المبارك من قِبَل مجموعات المستوطنين تحت حماية الجيش والأجهزة الأمنية الإسرائيلية، كما جاءت العملية في ظلّ وجود حكومة إسرائيلية ذات توجه يميني متطرّف، كانت قد أعلنت عن تحشيد عسكري يضم نحو 30

كتيبة بهدف تنفيذ عمليات اقتحام في الضفة الغربية، ويُضاف إلى ذلك رفض إسرائيل المتواصل لأي مفاوضات سياسية مع الفلسطينيين، إلى جانب محاولات عدد من الدول العربية المضيّ في مسار التطبيع مع الاحتلال، وهو ما شكّل – من منظور المقاومة – بيئة سياسية ملائمة لتوجيه رسالة قوية عبر هذه العملية[26].

إلا أن ردود الفعل من طرف الكيان المحتل كذلك كانت غير مسبوقة من حيث الفاشية والوحشية، ففي حصيلة غير نهائية، وصل عدد الشهداء الفلسطينيين إلى ما يفوق 60000 ألف، غالبيتهم من النساء والأطفال، وكذا ارتفع عدد الجرحى إلى أعداد مهولة منذ بدء العدوان الصهيوني على قطاع غزة، وحسب برنامج الأغذية العالمي وصلت غزة إلى حد تصنيفات المجاعة، حين منع المحتل دخول المساعدات الغذائية للقطاع، وقد تضررت البنية التحتية المادية لغزة حيث دمرت تقريبا بالكامل، نهيك عن مقتل العاملين في الميدان الإنساني الإغاثي والصحفيين منذ بداية الحرب، ولا يزال آلاف من الضحايا تحت الأنقاض، وقد دمر ت المستشفيات و المساجد والكنائس والمدارس والجامعات[27].

وعلى الرغم من كل هاته الضحايا والخسائر فهذه تعد المرة الأولى التي تحظى فيها إسرائيل بهذا القدر غير المسبوق من الدعم والتعاطف الغربي، إذ سارعت معظم الدول الغربية إلى إعلان تأييدها الواضح لإسرائيل، واعتبارها "ضحية لإرهاب حركة حماس"، وفي مقدّمة هذا الموقف، برزت الولايات المتحدة الأميركية التي أعلنت تقديم مساعدات عسكرية وغير عسكرية عاجلة، وأرسلت حاملة الطائرات إلى شرق البحر المتوسط، كما عززت انتشار قواتها الجوية في قواعدها بالمنطقة، وقد وجّه وزير الخارجية الأميركي أنطوني بلينكن تحذيرات صريحة إلى الأطراف الإقليمية من محاولة استغلال الأحداث الجارية في غزة للدخول على خط الصراع، وفي سياق الدعم الميداني، عرضت واشنطن على تل أبيب التعاون الاستخباراتي للمساعدة في تحرير الأسرى الإسرائيليين المحتجزين في قطاع غزة، ما يعكس جدّية الموقف الأميركي في الوقوف الكامل إلى جانب إسرائيل. ويمكن تأكيد ذلك أيضًا من خلال جلسة مجلس الأمن الدولي التي عُقدت في 8 أكتوبر 2023، والتي خُصصت لبحث تطورات الوضع بعد هجوم حماس، دون أن يصدر عنها أي بيان رئاسي يدعو إلى ضبط النفس، الأمر الذي يشير بوضوح إلى أن الولايات المتحدة قررت منح إسرائيل الوقت الكافي لتصفية حساباتها مع الحركة، كما صدر بيانٌ مشترك عن خمس دول غربية كبرى هي: الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، وإيطاليا، أعلنت فيه استعدادها لدعم إسرائيل ومساعدتها في "الدفاع عن نفسها"، ما يعكس توحّد الموقف الغربي في دعم إسرائيل سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا على نحو غير مسبوق[28].

إنّ هذه المساندة الغربية المفتوحة وغير المسبوقة لإسرائيل في حربها العنيفة والدموية ضد الشعب الفلسطيني، وتبنّيها الكامل لسرديتها ومزاعمها دون أدنى تردد، لم تأتِ من فراغ، ولا تُفسَّر فقط برغبة الغرب في طمس آثار الهزيمة العسكرية القاسية التي مُنيت بها إسرائيل في بدايات الصراع، بل تعبّر كذلك عن نزعة استراتيجية قديمة تهدف إلى دمج إسرائيل دمجًا كاملًا في المنظومة الغربية الواسعة، وجعلها ركنًا أساسيًا في خدمة بنيتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في المنطقة، ولذلك، جاء هذا الدعم غير المحدود على شكل مساعدات مالية وعسكرية وحتى إعلامية، اصطُحب بخطاب غربي حاول إضفاء أبعاد قيمية وثقافية ودينية على ما يجري مثلا «حق إسرائيل في الدفاع عن النفس»، في محاولة لتبرير الانحياز الواضح لإسرائيل وتقديمه في إطار أخلاقي مزعوم، وهو تبرير مكشوف يهدف إلى شرعنة استهداف المدنيين الفلسطينيين وتبرئة آلة الحرب الغربية الإسرائيلية من جرائمها[29].

خاتمة:

لقد أظهرت الدراسة أن الصهيونية ليست مشروعًا منفصلًا عن الفكر الغربي الحديث، بل تمثل امتداده الطبيعي وتجسيده العملي في الشرق الأوسط، فهي تتبنى الرؤية الغربية ذاتها التي تؤله القوة وتُقصي القيم الروحية والإنسانية، مما جعلها أداةً فعالة في تحقيق أهداف الهيمنة الغربية في المنطقة.

كما خلص البحث إلى أن الدعم الغربي المفتوح للكيان الصهيوني، خصوصًا بعد عملية طوفان الأقصى (2023)، لا يُفسَّر فقط باعتبارات سياسية أو أمنية، بل يعكس انحيازًا حضاريًا وأيديولوجيًا يقوم على وحدة الرؤية والمصلحة بين الجانبين. فالغرب يرى في إسرائيل ركيزةً ثقافية واستراتيجية ضمن مشروعه الإمبريالي المستمر، بينما تجد الصهيونية في الغرب الحاضنة التي تبرر أفعالها وتمنحها الغطاء الدولي.

إنّ إعادة قراءة الصراع العربي–الإسرائيلي في ضوء الفكر الغربي وأيديولوجيته الحضارية تكشف أن هذا الصراع ليس مجرد نزاع سياسي أو عسكري، بل هو صراع قيم ورؤى حضارية بين منطق الهيمنة والسيطرة ومنطق العدالة الإنسانية، ومن هنا تبرز الحاجة إلى إحياء المشروع الحضاري الإسلامي القائم على التوازن بين المنفعة الدنيوية والقصدية الدينية، لمن أجل مواجهة أيديولوجيا الفكر الغربي والصهيوني معا.

المصادروالمراجع:

الكتب:

1. ابن نبي، مالك. مشكلات الحضارة بين الرشاد واليه. دار الفكر، دمشق – سورية، ط1، 1978م.
2. ابن نبي، مالك. وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية. دار الفكر، دمشق – سورية، ط1، 2012م.
3. بدران بن مسعود بن الحسن. الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري: أنموذج مالك بن نبي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 1999م.
4. بدران بن الحسن. المسألة اليهودية من منظور مالك بن نبي: دراسة تحليلية. رؤية تركية للأبحاث والدراسات.
5. المسيري، عبد الوهاب. الأيديولوجية الصهيونية: علم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
6. المسيري، عبد الوهاب. الصهيونية والعنف. دار الشروق، القاهرة، ط1، 2001م.
7. المسيري، عبد الوهاب. العالم من منظور غربي. دار الهلال، القاهرة، 2001م.
8. ألفرد ليلينثال. هكذا يضيع الشرق الأوسط. دار العلم للملايين، بيروت، 1957م.
9. ألفرد ليلينثال. ثمن إسرائيل. المكتب التجاري، بيروت، ط1، 1954م.
10. طه عبد الرحمن. تعددية القيم: ما مداها؟ وما حدودها؟ المطبعة والوراقة الوطنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مراكش، ط1، 2001م.
11. يوسف الطويل. الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم والمواجهة الصهيونية المسيحية – أمتنا ودورها الحضاري. صوت القلم العربي، مصر، ط2، 2010م.
12. عامر عبد زيد الوائلي، وهاشم الميلاني. نحن والغرب: مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي. العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2017م.

الرسائل الجامعية:

13. عمر مسعودي. التكوين العقدي وأثره في الحد من الغلو والتطرف. أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 01، 1441–1442هـ / 2020–2021م.

14. بلقيس محمد محسن. حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي. رسالة ماجستير في الأديان وحوار الحضارات، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2021م.

المقالات والدوريات:

15. يوسف فائز. "دور الفلسفة الأخلاقية لطه عبد الرحمن في تدبير صدام القيم". مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، م1، ع9، 2024م.

16. صورية تريمة. "مسارات التطبيع العربي – الإسرائيلي: من كامب ديفيد إلى اتفاق أبراهام". مجلة مدارات سياسية، م5، ع2، 2021م.

17. عبد الوهاب بوخلخال. "قراءة في فكر مالك بن نبي". إدارة البحوث والدراسات الإسلامية – قطر، ع152، 1433هـ.

18. مخلوف وديع. "طوفان الأقصى من الهجوم الفلسطيني إلى التحولات الإقليمية في قواعد الاشتباك". المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية، م9، ع1، ماي 2025م.

19. رياض قندوز. "مواقف الأمم المتحدة المتعلقة بطوفان الأقصى خلال الـ200 يومًا من الحرب الإسرائيلية". مجلة المعيار، م28، ع3، 2024م.

المراكز البحثية:

20. مركز حرمون للدراسات المعاصرة. عملية "طوفان الأقصى": تطوراتها وأبعادها وتداعياتها المحتملة. أكتوبر 2023م.

21. المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق. معركة طوفان الأقصى: قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة. ع28، ط1، 2023م.

المصادر المرئية:

22. الشيخ يوسف القرضاوي. علاقة المسلمين باليهود. [فيديو على يوتيوب]. الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=jMdTy8i4SAs.

---

[1]-عمر مسعودي: التكوين العقدي وأثره في الحد من الغلو والتطرف، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 01، 1441هـ-1442 هـ/2020م – 2021 م، ص48.56.

[2]- يوسف الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم والمواجهة الصهيونية المسيحية -أمتنا ودورها الحضاري-، صوت القلم العربي، مصر، 1431، ط02، 2010، ج04، ص55،58.

[3] -علاقة المسلمين باليهود - الشيخ يوسف القرضاوي

https://www.youtube.com/watch?v=jMdTy8i4SAs

[4] - يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم والمواجهة الصهيونية المسيحية، ج04، ص55،58.

[5] - بلقيس محمد محسن: حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي، قدمت هذه الرسالة للحصول على درجة الماجستير في الأديان وحوار الحضارات، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر،2021، ص189،188.

[6] - عمر مسعودي: التكوين العقدي وأثره في الحد من الغلو والتطرف، ص57.

[7] - بدران بن مسعود بن الحسن: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط01، 1999م، ص105.

[8] - ألفرد ليلينتال: هكذا يضيع الشرق الأوسط، دار العلم للملايين، بيروت، 1957، ص314.

[9] - ألفرد ليلينتال: ثمن إسرائيل، المكتب التجاري، بيروت، ط01، 1954، ص19.

[10] -مالك بن نبي: مشكلات الحضارة بين الرشاد واليه، دار الفكر، دمشق – سورية، ط01، 1978، ص130.131.

[11] - ألفرد ليلينتال: هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص295.

[12] -عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، 1978، ص117.

[13] - ألفرد ليلينتال: هكذا يضيع الشرق الأوسط، ص297.

[14] - المرجع نفسه، ص233.

[15] - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي المسألة اليهودية، دار الفكر، دمشق – سورية، ط01، 2012، ص110.

[16] - بدران بن الحسن: المسألة اليهودية من منظور مالك بن نبي: دراسة تحليلية، رؤية تركية للأبحاث الدراسات، ص131.

[17] - يوسف فائز: دور الفلسفة الأخلاقية لطه عبد الرحمن في تدبير صدام القيم، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفي ، م 1،ع 9، 2024، ص536.

[18] -طه عبد الرحمان: تعددية القيم : ما مداها ؟ وما حدودها ؟، المطبعة والوراقة الوطنية كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مراكش، ط01، 2001، ص21.

[19] - يوسف فائز: دور الفلسفة الأخلاقية لطه عبد الرحمن في تدبير صدام القيم، ص535.

[20] - بلقيس محمد محسن: حوار الحضارات في فكر مالك بن نبي، ص141،142.

[21] -عبد الوهاب بوخلخال: قراءة في فكر مالك بن نبي، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية – قطر، ع152، 1433، ص94

[22] - صورية تريمة: مسارات التطبيع العربي - الإسرائيلي.. من كامب ديفيد إلى اتفاق "أبراهام"، مجلة مدارات سياسية م 05، ع02، 2021، ص230، 235.

[23] - عامر عبد زيد الوائلي - هاشم الميلاني: نحن والغرب مقاربات في الخطاب النقدي الاسلامي، العتبة العباسية المقدسة-المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2017، ص285.

[24] - عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والعنف، دار الشروق: القاهرة، ط01، 2001، ص05.

[25] - عبدالوهاب المسيري: العالم من منظور غربي، دار الهلال، القاهرة، 2001 ،ص 224.

[26] - مخلوف وديع: طوفان الأقصى من الهجوم الفلسطيني إلى التحولات الإقليمية في قواعد الاشتباك، المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية المجلد 09، العدد 01، ماي 2025، ص490.

[27] - رياض قندوز: مواقف الأمم المتحدة المتعلقة بطوفان الأقصى خلال الـ200 يوما من الحرب الإسرائيلية، مجلة المعيار، ع 3، م 28، 2024، ص180.

[28] - مركز حرمون للدراسات المعاصرة: عملية "طوفان الأقصى"، تطوراتها، وأبعادها، وتداعياتها المحتملة، أكتوبر، 2023، ص07.

[29] - المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق: معركة طوفان الأقصى قراءة في التحديات وسرديات الصراع والأدوار المساندة، ع28، ط01، 2023، ص06.